سيمفونية الحب

تأليف

السيد حافظ

مركز الوطن العربى
للنشر والاعلام

الطبعة الثانية

كتاب رؤيا

الثمن

« ١ »

وقف خلف الباب يرقب وينصت وكأن العالم يميد تحت قدميه . لا يمكن أن تكون هي .. لا يمكن أن تخون .. أنا أعرفها لا تقبل الخيانة سعاد !! لا يمكن !!

لكن هذا الصوت صوتها !! صوتها ..

نظر من ثقب الباب .. نفذت عيناه وهي تشع احتراقا .. هي نعم هي .. ورجل آخر .. ترى متى عرفته .. انه يحضنها .. منذ متى تخونني .. منذ

« ٢ »

وقفا أمام الضابط في قسم البوليس .. قال الضابط وهو يشعل سيجاره .

ـ وأنت !

ـ على السمنودى •

أشار الى الرجل الآخر

ـ وانت

ـ علي السمنودى •

قال الضابط وهو يضحك بسخرية الى الرجل الاول :

ـ وأين تسكن ؟

ـ ٢٥ شارع الاسكندراني ـ محرم بك • شقة ٥

قال الضابط منذ متى تزوجتها

قال الرجل وهو يمسح دمعة سقطت فجأة من عينيه دون أنذار

ـ تزوجنا سنة ١٩١٨ وأنجبنا كثيرا من الاطفال

أخرج الضابط من جيبه منديلا •• بصق فيه ونظر للرجل الآخر

ـ وأنت

ـ أقيم في ٢٥ شارع الاسكندراني محرم بك شقة ٥

تزوجنا في الثلاثينات وأنجبنا خمس فتيات جميلات •

دخل رجل القسم وهو يصرخ تجـاه الضابط •• يا صاحب السلطة والنظام •• زوجتي لم أجدها في المنزل •• اختفت فجأة لم تتعود على الخروج •• سألت عنها الاقارب والجيران •

قال الضابط وهو ينظر الى الرجل دون اكتراث •• نظر الى ملامحه الطفولية ويده المرتعشة التي تحاول أن تتماسك رعبا ••

ـ اسمك ؟

– علي السمنودى أقيم في ٢٥ شارع الاسكندراني شقة ٥ ... وزوجتي سعاد تزوجتها سنة ١٩٤٧ وأنجبنا طفلين .

« ٣ »

جلسوا في حجرة وكيل النيابة الذي بدا في زهو وفخر وهو يتحرك في الغرفة يتفحص بعينيه الرجال الثلاثة والدخان يتصاعد من فمه وقد جلس كاتب النيابة منهمكا في أعداد الاوراق .

– الاسم !

– .. أجاب الثلاثة في صوت واحد :

– علي السمنودى .

ضحك وكيل النيابة وهو ينظر الى البحر لتعانق عيناه قلعـة قايتباى ومرة تعانق عربة السجن التي وقفت في فناء المحكمـة قال وكيل النيابة وهو يضغط على الجرس :

– يستدعى صاحب المنزل .

دخل رجل بدين وقد لمعت في عينيه نظرة آسى ..

قال وكيل النيابة وقد مد يديه الى الملف

– الاسم ! والعنوان والسكن

.. رد الرجل وهو يرتعش

– علي السمنودى

٢٥ شارع الاسكندراني شقة ٥ .. زوجتي سعاد تزوجتها في الخمسينات ولم تنجب .

« ٤ »

جلسوا في قفص الاتهام وقد أمتلأت القاعة بالمشاهدين وقد وقف وكيل النيابة يختال بصوته العريض وهو يقول :

ـ وبسؤالنا عن المدعي عليها وجدناها شريفة لكنها صماء . خرساء .. أمية .. أصيبت بمرض منذ سنوات لا تستطيع الكلام .

قال القاضي وهو يحرك نظارته ويساوى حلته الانيقة فهو رجل انيق دائما .

ـ الدفاع

تقدم شاب في الثلاثين من عمره وقد وقف بصوته الواثق

ـ على السمنودي وكيل المتهمين

« ٥ »

جلسوا في عربة السجن خمس أفراد أولهم عامل والثاني شاعر والثالث صحفي والرابع طالب والخامس محامي وعربة السجن تقطع كورنيش البحر لتصل الى السجن .

الموقف العادي

في البـــدء

الفارس يستعد أن ينزل الى الساحة .

حبيبته تحمل في صدرها صورته .

النورس يهاجر فوق المدن المتوغلة .

افتح كل النوافذ لارى الوجه الطفولي .

الحب يولد في القلب ألف مرة .

المرة الاخيرة يعانق المستحيل ويلد السعادة والبقاء .

ها انت يا أمير الكلام المعسول تغزل من مواقف الحبيبة ثوبا يتحدى العالم .

– قبلني .

– قبلتها .

لم تعرف انني عندها أردت ان أنزل الستار عن مواقف حياتي القلقة وان اخلع شجرة الامان .

تثآبت لك اعرف هل التثاؤب قبول أو رفض . يقول علماء النفس انه هروب من مواقف ويقول المثل البلدي انه موقف رفض وأنا لا أعرف سوى انه موقف عادي وعليّ ان اقنع نفسي بهـذا .

– هل أنت غاضب ؟

– لم أغضب

« اعرفها في القديم ناقوس الحياة والخجل والحب والعطاء .

تعرفني الان زوجا . في كل لحظة اشعر أنني اما أن أخرج من حدود عالمها الساذج كي تخرج الى عالمي الفسيح .

المتصف

« كانت تحب في عمها الثري السيارة . النادي . الفخامة . الاناقة كنت احب الفلسفة والتأريخ والفن واللوحات . والناس

– ادخلي الى عالمي أرجوك

هزت رأسها . نعم انا معك . وضعت قدما على قدم .

معي . هل هي حقا معي افسحوا لي مكانا في قلبها اجلس عليه اسجل تأريخ الجبال . الانسان المعرفة .

جلست في حلم منزل عمها . حدثتني بكبرياء . كست وجهي الدهشة اخذت ادور حول حلمها سبع دورات . وأطلقت بخور سيدي المرسي أبي العباس وحملت في عيني سؤالا لها .

الحب يا رفيقة عمري يبدأ بالزواج

يبدأ بالزواج

ـ نعـم

ـ في البدء الزواج ثم بعد ذلك يأتي عالم آخر • الجنس • الاولاد انا وأنت •

كان ابوها يتسع قلبه للعالم وامها في عينها الخـوف الدائم عليها والحرص الدائم • كانت تحب أن أكون رجل ابنتها المخلص •

سألتني هل تحبني

ـ نعم

ـ وأنت

ـ ضحكت

عن عاشق البراري • عن عاشق الكلمة • أبن النيل • عن رحلة عمري • عن يوم ما • عن نظرة حزن فيعين حبيبتي •

قالت • وقالت امها قبلها •

لا اعرف لماذا يغضب هذا الرجل •

تدلى عنقي اسفل المنارة ، يطفو رأسي في الميناء الشرقيـــة وجسدي يتبلور كويكبات أدور في فلك الشمس • تقهرني كلمة •

لا • للحق •

لا تذهبي الى « س • وص » من صديقاتك •

تجهمت • نظرت في وجهي •

لماذا .
هكذا .
هل تحضر معي اليهما .
لا

لا كنت اعرف ان « س و ص » ترحلان في سـيارة اللذة تطوفان مدنا اسرة اللحظة تأكلان التوافق ضحكات . والعالم عندهم وسيلة لغاية الثراء والمتعة مع النبلاء .

علقت زوجتي شفتيها مترين فوقي . عضتني . نظرت لي باحتقار . اندهشت رغم أي شيء اخبرتها عن معرفتي بـ س ، ص هل قبلت يدي بسرعة . وقبلتني وقالت . لا تكتب عنهما اي شيء. وضربتني وهي تمزح . وأخذت تضحك عضتني . ثم راحت تسألني ما هذا .

وفي هذه اللحظة رددت عليها بالمثل .

في الختـام

رقصت في عيني امنية . غنت زوجتي مع عبدالحليم « اشتقت اليك فعلمني الا اشتاق » اطوف في عينيها . أسألها لماذا تقول ؟

ليس ما في ظنك . اخرج ، اخر ما في جعبتي من سؤال اتعلق انا وهي بروازين للصور تعلقها امها في منزلها وتعلقها امي في منزلنا .

تجلس هي عند امهـا وأجلس انا عند امي ، تطـوف فوقي ذكريات . هل انت متزوج ـ نعم .

كيف • هل تنام عند امها وانت عند امك •

ليس عندي منزل الان •

والمشكلة •

لا أعرف •

رغم انها تجلس كثيرا في حلم الثراء في منزل عمها • الا انني اسكن في حلم صغير في تلك المدينة الكبيرة الكافرة التي لا تعرف الا لغة الاقوياء والمال والثراء •

اغتسل من جهلي كل يوم بقراءة كتاب تحاول هي ان تدخل حياتي من نافذة ضيقة رغم انني فتحت لها كل الابواب •

رمقتني وهي تحاول ان تمشط شعرها • حاولت ان اخرج من دائرة الضيق الى الاتساع بأن أفتح لنفسي مكانا بجوارها •

بعد الختام بقليل

شربت الشاي • حدثني اخوها عنها حدثته عني • حدثني اخي عن الحذاء الذي تمزق بعد شراءه بأسبوع •

العلم نور •• العلم نور والنور صعب • وانا لا استطيع ان اعرف الصعاب في نفسي • ــ فنفسي قلقــة • فيــا نفسي أطمئني واحمليني يا حبيبتي من رحلة الصعاب •

العدل اساس الحكم • الحكم اساس الحاكم والحاكم يحكم

بالميزان وآلسوط والسجان ، والعاقل من يفهم ان السائل هو الخسران
والكاسب من يتدلى فوق اكتاف السلطان يمسح عنـه التراب ٭
ويحكى له في المساء قصة الشاطر حسن في مدينة العميان

اخذتني زوجتي

الى احضانها وأطفأت الشموع ٭

سيمفونية الحب
في ثلاث حركات

الحركــة الاولى

عصام وليلى والبحر والنورس والقمر

تفوح رائحة البحر وتغترب اخر النجوم في الافق مودعة احلام الصيادين مودعة الشمس . تتهادى موجـة فوق الصخر . تتفتت سمكة كانت تحلم بالغوص في القاع بجوار الشط . كانت هي وكنت انا وشريط طويل ، والبرد والمطر الخفيف والبحر والنجم والافــق البعيد . الظلام . كورنيش البحر . كورنيش الانفوشي وقلعـه قايتباي الكهلة العجوز تنظر الينا . بدأتا متشابكتين . على جبهتها تتأرجح خصلات صغيرة بريئة . ويدها الجريئة تضغط بحنان على يدي الباردة والبحر يبتسم لنا .

ـ الحب

ـ افهمـك

ـ الحب

ـ اعرفك جيدا

قبلتها رغم ان امامي بخطوات محطة الاتوبيس واشباح الناس المنتظرة له كأنه الامل القادم للانقاذ وكانت الناس منكمشة تحت المظلة تراقبنا بعيون مرتعشة • ضغطت عليها في احضاني تأرجحت . هي طفلتي البريئة تكتب الشعر وتكره نزار لاني اكرهه وتحب ناظم حكمت لاني احبه • تمزق الخطاب الف مرة قبل ان تكتبه لي لانها تخاف ان اضحك عليها • تقبل كفي •

ـ أبـي

ـ لست أبـاك

ـ حبـي

خطونا ، مر الاتوبيس بسرعة من جوارنا • صرخ احد الركاب وهو ينظر من النافذة :

ـ يا اولاد الكلب اذهبوا للنوم • الدنيا برد •

ضحكنا • في نهاية الرصيف وعند المنعطف • شباك الصيادين ملقاة على الشاطيء • طفل ينتظر الصباح ليمرح ويلهو مع الاسماك في البحار • الجندوفلي • المرجان • الكابوريا • الجمبري •

ـ كنت اظنك لن تحضري اليوم •

– اخي لم يحضر من الجبهة . جاءت خطيبته . كنت اظنه سيحضر . خطيبته قالت لن يحضر .

اشعلت سيجارة (بلمونت) ونظرت لها ويدي على كتفيها

– أتشمين رائحة البحر ؟

– وجهك حزين .. لم انت هكذا ؟

« حزين .. لو تدرين ما حدث اليوم في الجامعة . مجلات الحائط تمزق .. ومقالتي تثير ضجة والعميد يطلبني للحضور . ما الذي كتبه هذا الطالب المغفل . لم اذهب للعميد . جاءت قوات الشرطة تضربنا . جرينا . سقط بعضنا . جريت انا . وانا الآن معك حزين لم اعرف من قبض عليه ومن جرح .

قبلتها .. كوني لي . قبلتها . نمنا على الشباك وتعانقنا همست في اذني » .

– انت مجنون . الناس . الطريق .

(البرودة لا تهم .. العالم دافىء معك. احتويني ايتها المجنونة الحمقى . احتوي جنوني . اجمعيني من تمزقي .. لملمي حروفي التي تمزقت من نشرة المجلة والحائط . احبك . احب البحر احب النورس احب اشعارك الساذجة ولوركا . اسمع صراخ الشرطة وصراخ الجميع .)

خلعت جزءا من ملابسي . خلعت جزءا من ملابسها .

مر اتوبيس من جوارنا بسرعة . صراخ ركابه . لكنه لم يقف كأن الله لا يريد ان يفضحنا . كأن الله يحمينا .

صرخ شاب من المنزل المواجه للبحر من الدور التاسع :

ـ يا مجانـين .

ـ يا اولاد الكلب .

. . . .

. . . .

قال ناجي في القهوة ، عند التاسعة مساء أنت كنت تسير على البحر في وضع غرامي لقد شاهدتك .

ـ لقد شاهدتني .. اعتقد لا . اشعل سيجارة .

الحركة الثانية

عصام والمطر ومها والتوحيد :

ـ غـــدا ؟

ـ ربمـــا .

ـ ارجـوك .

ـ احـاول .

(تغوص اقدامي تدوس في عنق الرياح العفنة . تعربد رياح افكاري على اجنحة المنازل القديمة ويتساقط المطر بشدة في الخارج وانا أهبط درجات سلم البيت القديم بوجهي المتعب بحنجرتي المجهدة من الحديث الطويل والشرح الممل : تقع أمريكا في موقع متوسط.

ومحاولتي الدائمة ان اخلق من لاجدوى الاشياء في تلميـــذتي الوجود • جيلي يتعثر في خانات الهزيمة • جيلي لم يمنح فرصة واتتن يا تلميذاتي في عيونكن شمس القدوم • (وقفت على بـاب الشارع لا يمكن ان اصعد مرة ثانية •• لا يمكن لقد انتهى الدرس وتلميذتي ودعتني على الباب وهي ترتجف من رياح « كيهاك » •

على باب الشارع • المنزل الكبير • على باب المنزل الكبير المطل على الشارع الذي اصبح مستنقعا كبيرا • عربات • رجال بظلات وقائية للمطر • تحول البشر الى سلاحف تهرع تختبىء • ينهمر المطر فوق جبال الحبشة •• تهب رياح عكسية على المحيط الاطلنطي • يمر طفل من الشارع يسقط • تسقط امطار • تغني فيروز (حبيتك بالصيف) وصوت المحقق

- انت يساري •
- نعم • لا افهم
- نحن يسار وطني وانت يسار منحرف
- نعم • لا افهم !
- تشرب الشاي اولا

حسونة ، المقهى ، وأنا وحديث طويل•• أنت الامل لنا•• تحت ابطي (الثورة الثقافية) وحيد النقاش - البرتو مورافيا - عيون الشرطي السري - الذي يجلس معنا في المقهى •• جاليري ٦٨ • أبحث عن الناشر - صبري حافظ يرفض ان ينشر لي •• قصيدة عفيفي

مطر لا افهمها •• مات عم العمدة من (السعال الديكي) مع انه تجاوز السبعين •• عم العمدة بائع الطماطم •• كف الشرطي • صرخة ام في سيناء • رضيع يباع في الصمت •• مقهى الصعايدة•• ل ل وعسى •• بكرة اجمل •• الحب المطر •• المطر •• المطر •• عربة تمر بسرعة ••

ـ أستاذ

ـ مهـــا

ـ انت تقف على البــاب ••

دخلت مها تجري وانا اقف على الباب •• مها خالة تلميذتي لم تتكلم معي ابدا •• دائما ابدا •• ازيك • تدخل الشاي لي ••• تبتسم • في ابتسامتها شاهدت القاهرة تبتسم والمنارة تعانق قلعة قايتباي • حسن اعقل يا غبي •• أتعرف الحب يا ساذج • المرأة لها عيون غجرية ••• سوسن المرسم • من قبائل اسبانيا تحب • بينما كنا نأكل الفول يا حسن • كنت تأتي باشعارك الي تسألني ما رأيك• واليوم قبضوا عليك فجـرا •

عيناك يا مها بألف لغة تتحدثان بثورة العشق الابدي •• حسن في السجن وانا في سجن عينيك ومدت يدها • صافحتني • تشابكت أيدينا •• ضغطت على يدي •• اقتربنا • اقتربنا تشابكت ايدينـا واجسادنا ـ سعاد حسني وخلي بالك من زوزو ـ وقبلة دافئة تحت المطر ، وراحت يدي تكتب على جسدها اشعارا وردية على شجرة

الياسمين ـ السيد بونتيلا وتابعه ماتي : هذهيدي عرت الحروف من جسدها وتحسستها وذاقت يدي لحم الحرف ولحم الاتى .

صرخ احد الاطفال من الدور الثالث ..

الدنيا ظلمة قوي يا ماما .

تفرقنـــا

صعـدت الى اعلى

خرجت الى الشـــارع

. . . .

لـــم نلتـق .

الحركة الثالثة

عصام وشادية واللحظـة :

– احذف هذه الجملة من المقالة . وهذه الجملة وهذه الجملة :

قال الرقيب في الرقابة على المصنفات في وزارة الثقافة :

مسرحية ٦ رجال ممنوعة من النشر والتمثيل .

قال مدير شركة التوزيع :

– انت كاتب جديد على القارىء العربي ومسـرحك صـعب ولا استطيع ان اخرج كتابتك خارج مصر .

قال رفيق الصبان :

ـ وجهك وحركاتك تصلح لان تكون ممثلا معي في مسرحياتي •

قالت يقول •• يقولان •• يقولون •• تقولين •

قالت الموظفة الرقيقة : انت انسان لطيف جدا •• سنتناقش في مسرحيتك الجديدة عندي في منزلي الساعة السابعة مساء • زوجي مسافر الى ايطاليا

يقول مدير الثقافة :

ـ وكيل الوزارة في جيبي •• سأجعله يطردك مهما فعلت

يقولان :

ـ لا تخرج يا استاذ •• في الخارج البوليس يقبض على الطلبة

يقولـون :

ـ فتاة سمراء تنتظرك في الخارج ••

تقولين •••

ـ انا شادية •• موش سيادتك الاستاذ عصام المخرج ••

انا شادية بطلة مسرحية « رأس العش » التي ستقوم بأخراجها •• مساعد المخرج اخبرني انني اصلح ••

هل ستخرج المسرحية ؟ ••

المظاهرات . لم تسمع ان هناك مظاهرات والنشاط ممنوع في الجامعة .. ممنوع التجمع .

- الدول الاوربية التسع ترحب بطلب اليونان للانضمام للسوق المشتركة .

الى اين ستذهب اليوم ! ..

اتصالات مكثفة في لبنان لتشكيل الوزارة تتوقع استمرار الازمة اسبوعا اخر .

الى قصر الثقافة .

الدول الصناعية والنامية تبحث دعم اقتصاد الدول الفقيرة .

بجواري .. تحدثنا . عن مجلات الحائط . عن الحرية ، عن الناصرية ، الاخوان المسلمين ، الشيوعيين . كيسنجر يصرح ، محادثات رابين وفورد لم تتوصل لنتائج محددة .

دخلنا محل فينوس .. أكلنا قطعتين من الجاتوه . شربنا الشاي خرجنا سرنا .. هل تستطيعين الحضور . لجنة تصفية الاستعمار تجتمع في البرتغال ..

في السادسة مساء .. عندي بروفة السابعة سأنتظرك أمام مكتبة الاهرام في شارع النبي دانيال . ودعتني انا مشغول . سعيدة . لا اعرفها . لكنها انيقة .. رقيقة .. ربما انا احتاج الى اي أنثى الان . لكن معي ميعاد السابعة مع الموظفة الرقيقة . وعندي بروفة . وهل سأجد ورقة من البوليس السياسي تستدعيني . اين

كنت اثناء المظاهرات في الجامعة ؟ لابد انك ؟ واين المفروض وأين أجد نفسي ..

ـ سعدالدين وهبة اليس هذا مؤلف « سكة السلامة » ؟
ـ نعم يا شادية .
ـ المسرحية دي مش زي « سكة السلامة » مش قوي

عندما جلست في التاكسي ابتسمت . قف يا اسطى . دفعت ١٧ قرشا ودخلت منزلا . انتظرني دقيقة واحدة . ضربت جرس الباب فتحت الباب لي امرأة في الحلقة الثالثة

ـ الاستاذ خليل
ـ خرج خليل
ـ اهلا عصام
ـ اعطيني مفتاح الاتيليه بتاعك

أدخل . .جلسنا في الصالون

خليل قال لي بلدي ماتت في داخلي وما زالت فيك تنبض يا فتى .

ـ معك أحد ؟
ـ معي انثى امام العمارة
ـ خذها . هذا هو المفتاح .

خليل كان يحلم بأن يكون شيئا .. سقطت احلامه في رحلة الرغيف .

اخذت المفتاح منه وهبطت سريعا • سرنا شارعين وعند شاطيء اسبورتنج • صعدنا ثلاثة ادوار ادرت المفتاح في الشقة ودخلنا • اشعلت مصباح الكهرباء في مدخل الشقة • وجلسنا في الغرفـــة المقابلة •

بالتأكيد كلمة رأسمالية ليست أنيقة
البلبل لفظها أعذب
ولكن رغم هـذا سأقولها
كلما احتجت اليها •
دع المقاطع ترن كالشعارات المتحاربة •

« عندما اقفلنا الباب تنفست بارتياح • جلسنا • شعرت بشيء من القلق • استرحت على كتفها • فجأة انقطع التيار • اشعلت عودا من الكبريت • ذهبت الى المطبخ • وجدت ثلاثة شمعات صغيرة في الاركان اشعلتها • نزلت من العمارة مسرعا الى البقـال اشتريت شمعتين وصعدت الى اعلى مرة أخرى • اشعلت الشـمعة لارى وجهها يبتسم في ضوء الشموع • مدت يدها لي تمسح عرقا يتصبب من جبيني • انت قلبك بيدق • »

خلعت قميصي رحت أضمها الي •
راحت ترمي برأسها على كتفي •

انت انسان غـريب • متى ستنزل من هنـا • عندمـا تنتهي الشـموع •••

في الثامنة والنصف .. هبطنا .. في الظلام . صرخت امرأة في الدور الثاني مين اللي نازل ؟

قلت : أنا الاســتاذ خليل .

– ومين اللي معاك .

– المــدام .

– معليش النور انقطع . كنا جايين نطمأن على حاجة .

– هبطنـا ....

حروف من يوميات
مهدي أفندي

يشق شعاع الفجر اسطح المنازل الكسيحة المتشمة بالنوم وتتعاطى النوافذ المغلقة افيون البحيرات المرة وهنا انت يا غربال حيث الكسل يغطي كل الحارات ويندد بأتربة الصيف وفي الشقة الضيقة تحرك «مهدي افندي» ليرتدي حذاءه الذي بدأ يتمزق من جانب قدمه اليمنى في اليمين وارتدى كل ملابسه وكرافتته التي تعجب السيد المدير والتي يأمر بها وحينئذ ادرك ان علبة سجائره لم ينساها وان كل شيء على ما يرام وهاهي «أم رفاعي» نائمة وها هو يفتح النافذة ليجد الاقرع • لم يتحرك بحصانه • ترى ما الذي نساه •• لقد نسي ان يغسل وجهه ، اتجه ناحية الصنبور ، وقد وضع الفوطة على كتفيه ونظر من حوله وجد فجأة ينزل من الصنبور دم • قفل الصنبور ونظر حوله •• جرى على السلم •

اللام

جلس على مكتبه .. فتح النافذة التي خلفه صافحت عيناه سينما أمير ، التي توجد أمام الشارع طفحت عيناه بالدهشة لمنظر الانثى العارية في اعلان السينما .. احدث ما انتجته السينما الامريكية « الرجل المفزع » .. فتح الدوسيهات وتاهت عيناه بين الاسطر .. ودخل عبدالحميد الساعي بفنجان القهوة المضبوط كالعادة ودخل الموظفون والموظفات وكانت تدور حوله كلمـــة « صباح الخير » وهو يرد دون ان ينظر لهم صاح احدهم .

– الم تقرأ الجريدة اليوم .

– قال اخر .. سمحوا بالتصدير والاستيراد .

قالت الموظفة .. لا توجد علب لبن مجففة للاطفال

لم يهمس .. ظلت عيناه على الدوسيه وهو يفكر فيما حدث في الصباح تحرك زميله عبدالمطيع الى مكتبه وامسك من يـده الدوسيه ..

– اترك هذا الدوسيه وتحدث معنا

نظر له .. نظر عبدالمطيع .. قال

– الم تغسل وجهك

انتم أ . ا . ا غير معقول .. توجه على الفور الى دورة المياه وهو يحيى كل من يراه مسرعا « فتح الصنبور » وجـد الصنبور ينزل منه دما ..

الدائل

في الساعة الثانية خرج الى الشارع .. نسى جريدته على المكتب .. وفي الوقت نفسه نسي .. اوامر المدير بأن يمر عليه ونسي كل شيء ما عدا ان يصدق ما يقال .. في شارع محرم بك.. وعلى القهوة صاح به « عم علي » الجرسون واوقفه

تفضل يا استاذ .. ما بك .. اراك تحدث نفسك

جلس معه .. نظر لكل من حوله .

نظر الى الصنبور وجد أمامه .. فتح الصنبور ليشرب كوب ماء .. وجد الصنبور . ينزل دما جرى .

الميم

دخل الشقة مسرعا .. جرت زوجته واولاده خلفه .. جلس على السرير وامسك رأسه

- ما بك

- لا شيء

- هل طردت

- لا

- ماذا حدث ؟

- لا شيء

- تكلم

- اريد كوب ماء

ـ دخلت ابنته الصغيرة تحمل « القلة » .. شرب وجد طعما غريبا انسكبت المياه .. وجدها دما صاح وهو يبكي لزوجته

ـ انظري

ـ صاحت .. منذ الصباح والماء هكذا ..

بكى ..

صياد اللؤلؤ

حط الغراب الاسود فوق الكوخ . خرجت البدوية « هند » يتدحرج المساء على شعرها اسطورة من اساطير الشرق القديمة . حط الغراب فوق شجرة فأين الاميرة .

نظرت « هند » الى الغراب تسأله لماذا جاء ، وليس بالامكان اعطاء جواب ولو من الخيال . فمن المؤكد ان العرافة تكره الغراب كرها شديدا ، نظرت في وجه الغريب الملقى في الخيمة وقد انهكه المرض .

شريان البلور الصافي في مخدع الحكمةالقديمة ظلت ترددها الاف الاجيال « المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين » . هل هذا الغريب هو الحبيب المنتظر . ماذا ستقول لابيها . بشواربه العثمانية جلس ابوها على الارض امام الخيمة .

- غريب ومعه غراب

- نعـم ٠

- نذير شؤم ٠

احضرت الحمص الجاف واخذت تحرقه ٠ تريد ان تبعد الشر ٠ لكن الغريب خلع عباءته ذات مرة في الخليج متدحرجا مع صيادي اللؤلؤ في ملوحة قاسية لا تعرف الا لغة الفروسية ونبـل العناد ٠

كم مرة حاول ان يصنع شيئا ؟

- اصنع ٠

جاء من الخليج بشباك فارغة لم يقابل اللؤلؤ مرة ٠ وقابل الموت هنا في الصحراء في سيناء ٠ وجاء الامر اليه بالتقهقر وانسحب وهنا سقط ٠

طار الغراب الاسود فوق الكوخ ٠ نظرت في عين الغريب ٠ الشمس الحارة ، العرق المتصبب ، الجهد والحر والموت ، عين المجهدتان ، ضاجعت الخوف مرة ، طاردني القلق طول العمر ، ضاجعت الصعب حبل الواقع بالكلمة البكر وريد الحقيقة المنجل يدخل في صندوق فضي في عربـة ، مـرة في ليلة في احتفـال كليوباترا وعلى ظهر العبيد الذين يحملونها كتب :

« المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين » ٠

اسمك ؟..

– اسماعيل عثمان :

تحت لحيته وعينيه المتعبتين رغبة ملحة في ان يتلمس هـذا الجلد الابيض الناعم فصورة « هند » البدوية هي صورة كيلوباترا كما رأها في الكتب وتعلم .

– انت ؟

– مصري .

– من اين اتيت ؟

– من سيناء .

ها هي الصحراء .. هند بدوية الصحراء مع ابيها العجوز وزوجها الذي مات في الحرب السابقة . انها اصبحت وحيدة تلتف الليالي حولها تشعل في قلبها الحنين القديم للمحارب الحب عندها هبة الالهة يتطلب نوعا من الوجد والعطاء . نظر الاب في عينيها ، وجد الرغبة للغريب ، وقف

– لابد ان ندع الغريب يرحل

– لا ...

– لماذا ؟

– واجب الضيافة يا أبي .

– انسحب الجنود كلهم ، لم نشعر بهم الا هذا الذي جاء وارتمى امامنا .

عبرت احلامها كل السفن الراحلة حدثها الغريب عن رحلته قبل الحرب الى الخليج ، عن عذابه الطولي والعرضي ، عن نقيض من الاساطير التي تعلمها ، سحرها بلسانه عن منزلهم الموجـود في القاهرة ، عن سيناء حدثته ، امتزج الحديثان ، ولان شوارعنا مطهرة لا يسير فيها الا المطهرون • ولعل اخر محطات القلق هي موته • سقطت من عينيه دمعة • وسمع كل الاصوات تسخر منه فشل في الخليج وفشل في الحرب •

بكى لانها سقطت معه في بحر الدموع سقطا سويا لمدة عشر دقائق لاول مرة يجد مرفأ •

لكن في نفس اللحظة ، مرت من فوق الخيام طلقات مقذوفة من الطائرات •

كانت بجواره جثة عارية غارقة في الدم • خرج مهرولا يقطع الصحراء ينادي :

من خطف اللؤلؤ مني ؟

والطائرات تحلق هنا وهناك •

نفوس ودروس من سلسلة البحوث

السلطانية الغورتية في بلاد مصر ...

يوم السبت الاول ..

من فوق حماره .. حاملا جوالين من الفول والذرة .. الفول ليأكله هو واطفاله الصغار بعد ان يشعل الحطب وان يلقي بحبات الفول التي تمنع نهم الاطفال والتي تمنح الحياة لهم .. والذرة كي يأكلها حماره الصغير الضعيف .. هابطا .. الى السوق الكبير حيث الجواري والعبيد .. في عينيه احزان اخناتون وأغاني القساوسة عندما فتح عمرو بن العاص القاهرة في عينيه كانت رعشة بناء الجامع الازهر .. ووجهه خرافات العبيد الذين بنوا الاهرامات للملك خوفو وخفرع .

سائرا في الحارات الضيقة .. في أكواخ الباعة ودكاكين الوراقين .. عيناه على الارض تتفحصان تراب الاجداد .. تتفحصان

درهما وقع في الزحام •• تتفحصان لقمة عيش يحملها بعد ان يقبلها ليرميها بجوار الحائط لينال ثوابا وحماره خلفه ، صرخ في وجهه الشرطي المملوكي ••

ـ يا هـذا

أشار اليه •• لم يلتفت •• ففي الالتفات ما يضيع عليه كنزا لا يراه في الارض •

ـ يا هذا يا من ترتدي جلبابا أبيض •

في الهامش :

في السجن القوا به •• لم يعلم الغبي ان السلطان قنصوه الغورى عيناه مصابة بالم شديد •• ولذلك أصدر فرمانا كى يرتدى الجميع ملابس الحداد السوداء ويمنع الجميع من الغناء ويطلق البخور والصلوات والدعوات اللهم اشف السلطان •• اللهم ابق السلطان •• ممنوع الابتسام •• ممنوع ان تغني •• ان تتزوج البكارى وان تصبح كل الحوارى والاسواق جنازة وهمية •• أحزانا في أعلام •• في عيون الكبار والصغار هكذا كان ، الملابس السوداء في كل مكان والفرمان ، ممنوع ان ترتدى ملابس من أي الالوان •

يوم السبت الثاني :

ـ قالت الزوجة : يقولون انك قد ضربت علقة على قدميك وحلقوا شعر رأسك واصبحت عبرة لمن لا يعتبر •

قال الزوج : ينسون انني خالفت القانون وعلى ان اطيع القانون مهما كان .. فقانون السلطان هو القانون .

- يتنزه الناس .. خرج عبدالمطيع هذا الفلاح في ضاحية القاهرة بامبابه يحمل شعيرا وفولا .. يسير بخطواته .. في عينيه مذبحة شجرة الدر وعلى رأسه الذي بلا شعر مقص الرعب الوهمي يتوهج امامه .. وسوط الجلاد وصوت كبير الشرطة .. عليك ان ترتدي ملابس سوداء وها هو الان يسير بملابس سوداء .

صرخ شرطي .

- أنت ..

يعرفونه بسرعة .. نفس الصوت يعرفه هو .

- نعم

- تقدم الى هنا

في الهامش :

« في السجن مرة ثانية .. لم يعرف هذا المغفل ان السلطان قنصوة الغورى قد تم شفاؤه وان عليه ان يرتدى ملابس بيضاء واكتشفوا ان منزله لم يعلق عليه لافتة وأعلاما وصورة السلطان ولم يرتد ملابس بيضاء هو وزوجته وان الجميع في اسرته يرتدون ملابس سوداء » .

يقفون . الشرطة . الشهود . الجيران . أمام كبير الشرطة.

- يقولون انك خالفت الاوامر ولم تغن بينما القاهرة كلها

تغني وترقص وترتدى ملابس بيضاء وانت الوحيد الذى ترتدى ملابس سوداء •

ـ تعلمون يا سيدي انني لم أخالف • لقد رأيتك ترتدى الملابس السوداء وأمرتني بهذا وأمرت اسرتي وفعلت ما أردت في الاسبوع الماضي •

ـ تنفس كبير الشرطة بارتياح ـ تفهمون بصعوبة •

في السجن يعود ••

يوم السبت الثالث :

خرج من السجن •• نظر الى الشمس •• الى الشارع •• الى الناس •• الى زوجته واطفاله لم يشاهد أي لون •• خلع ملابسه جميعها وصار عاريا •• يهتف بحياة السلطان وشفاء السلطان •

جروا اليه •• جميعا •• صفقوا •• ضحكوا •• أخذوه الى السلطان •• ضحك السلطان من العارى •

صاح الرجل

ـ أي الالوان تحب يا سيدي •

ضحك السلطان قنصوه الغورى •

عينوه قاضي القضاة •

أشياء تحلم بالهجرة

تحــركت الاشجار تجــاه النهر •• لــم يعرف أن الاشجار تتحرك •• تتحرك الاف الطيور تجاه النهر •• من يسعف النهر من الاشجار •• من يسعف الطيور من الاشجار •• من يرحم الامواج من تشنجات السمك •• من يعطيني الفاس •• ؟

جرى محمد فاروق الى النهر •• يحاول أن يوقف تحــرك الاشجار •• الطيور تجري تجاه النهر تصيح •• أيها النهر حاول أن تمنع الاشجار من أن تتحرك اليك •• ماذا تفعل لو سقطت الاشجار فيك •• ماذا يتبقى لنا •• ؟ كيف تطير •• الطيور •• الطيور ••

محمد فاروق ، يجرى يضرب الاشجار بالفاس لكن ماذا يصنع الفأس في منع الاشجار •• محمد يصيح يا طيور النهر •• النهر

لا يتحرك .. النهر لا يتحرك .. تشنج السمك .. السمك تشنج.. سطع فوق السطح .. تحرك تجاه الشاطىء .. حاول أن يمنع الاشجار .. لكن الاشجار سارت تجاه النهر .. تجاه النهر تهاجر الاشياء .

مريم : ما كنت يا حبيبي سوى فلاح .
محمد : ما كنت سوى القلب لك .

صرخ محمد .. يا مريم . يا ابنة الشجر . حاولي أن تنقذيني. الاشجار تهاجرنا تجـاه النهر والنهر لا يستطيع أن يمنع تحـرك الاشجار والطيور بلا مأوى . والاسماك متشنجة .

أمنعي كل هذا .. امنعيني .. كانت مريم فوق الجبل تكتب وتسطر بالقلم : نون والقلم وما يسطرون .. وقفت الاشجار في منتصف النهر .. والطيور فوقها .. ومحمد فاروق يقف على الشاطىء حزينا ومريم ما زالت تكتب .. ترسم .. وتلوح من بعيد .

الجبـل :

ع . ن . ا . ن .. من يعرف القمح المخزون .. في جوف الجبل اليتيم .. تفتح الجبال أذرعتها .. تلتوي يدي فوق الجبل.. ها أنت يا محمد صرت رجلا .. الغناء رحل من الشفاه .. ورحلت الطيور من الاشجار .. ورحلت الاشجار والطيور .. وبقت مريم

تحمل الطفل في يدها .. تحدثه عن رحلة الاشجار في النهر .. سمار الجبل في جبين الطفل .. واسنانه صارت مثل جناح الطيور .

« كان محمد ممزوجا بنجوم الفجر .. ممشوقا في عيون الارض .. كان .. وكان .. صار محمد لا يعرف الا الفاس .. يحاول أن يمنع هجرة الاشياء .. ها قـد يعيش في الجبـل .. الجبل لا يفكر في الاتجاه الى النهر .. ذات يوم منع محمد فاروق زوجته مريم من أن تقطف الياسمين كان يتردد كثيرا .. تحت شجرة القرنفل .. لم نعد نرى الياسمين يا مريم .. امتدت كل الاشجار في النهر والطيور أصبحت لا تعرف الا النهر والاشجار ».

سامحيني يا مريم .. كنت أريد أن تلدي طفلا تحت شجرة الياسمين .. لا فوق الجبل .. كنت أريد أن تقطفي الياسمين .. اصعدى الان فوق الجبل وارقصي الف رقصة .

وقفت مريم فوق الجبل ترقص .. وأسفل الجبل كان محمد فاروق يعزف على الناي .. رقصت مريم وظلت ترقص وظلت ترقص والشمس تدور .. تحرك الجبل فجأة .. تحرك الجبل ببطء .. محمد يعزف ويعزف ويرقص ولا يدري .. وهو لا يدري ان الجبل يتحرك تجاه النهر .. ظل محمد يدور ويغني ولا يدري .. وهو لا يدري ان الجبل يتحرك يتحرك تجاه النهر .

وقفت الشمس .. ضاعت أنفاس محمد فاروق .. فتح عينيه وهو يجلس على الارض .. لم يجد الجبل أمامه نظر حوله وجـد

الجبل هاجر في قلب النهر وما زالت مريم ترقص عليه جرى الى
النهر وهو يصيح أخذ يصيح •• مريم •• يا مريم •• والجبل
يتحرك الى اخر النهر •

واقعة الوقائع في مدينة القطائع

تموت الاف البيوت في داخله وتنبت الاف الاشجار بعدهـا مورقة في حقول الاماني لانه يحمل في رأسه افكار الايام البيضاء المقبلة ويتنزه في رأسه الشتاء اكثر من الصيف ويحب الحارات كل الحـارات ويرى في عيون الفقراء شهقة تفرتيتي في احضان اخناتون مالت على كتفه وسألته :

ـ بأي شيء تفكر يا سرحان

ـ بالكلب ..

سرحان يبلغ من العمر ما فوق العشرين نحيل اسمر .. فارع القوام كلما يسير يتمتم بكلمات كأنها تعاويذ للغد لكي يسرع الخطى ،من مواليد قريـة بجوار مدينـة القطائع ، وابتسم كيف يستطيع ان يخبرها . ماذا يمكن ان يقول لها . لقد كبر الكلب

وازداد حجمه يوما بعد يوم ـ في صوته شراسة جريحة قد تحدث قد حدثت قد تمت او لم تتم ٠

خرج اهالي الكهف القصر من جناح الظلمة تأبطوا حقد السنين التي حبسوا فيها ورغرغت في فم كلبهم تزداد ونشروا في أهل الضاحية ضباب الخطايات وحدثوهم عن عالم البراءة ٠٠ عصفورة تنتزع الطهر من فم البراءة ٠

الكلب يصعد فوق المقاعد ٠٠ فوق الشارع ٠٠ فوق الحظائر ٠٠ ينبح ينبح ٠٠ صوته يعلو ثم يعلو ٠٠ واخذ يسمن ٠٠ يسمن ٠٠ والجميع هاهنا كانوا ايا كانوا يخافونه ٠٠ يخافونه في البدء ٠

كانت النظرة ثم الحركة ٠٠ كانت النظرة ثم الحركة ٠٠ والحركة تعني الفعل نظر من النافذة غطت عيناه الشارع وجد الطفل على السطح المقابل ٠٠ يخلع سرواله ويتبول على الكلب الذي كان نائما تحت المنزل ٠٠ الكلب استيقظ ٠٠ الكلب ينبح داخل المنزل ٠ جرى الطفل هبط السلم جرى الكلب خلفه ٠٠ الطفل يجري وأمه تجري خلفه ٠٠

لابد ان تنقذ الطفل ٠٠ الطفل مهم ان يعيش ويصبح رجلا٠٠ جرى الكلب ٠٠ الطفل يجري أمامه ٠٠ صرخت أمه ٠٠ وجرى سرحان الى الشارع ٠٠ خلف الكلب ٠٠ خلف الطفل ٠٠ لابد ان يقاوم الكلب مهما كان الثمن ٠

ام الطفل كانت تصرخ ليس بدافع الامومة ولكن لانهـــا انجبت الطفل بعد ٢٠ عاما من الزواج « يا زكريا نبشرك بغلام اسمه يحيى » جرى يحمل الطفل الى المنزل •• ها أنت يا سـرحان انقذت الطفل •• خبئيني •• انقذيني •• الكلب خلفي خلفي •• على باب الشقة يا حبيبتي •

التف الناس •• كل الناس صرخوا •• هاجوا •• ثاروا •• الشرطة •• الشرطة •• حملته عربة السجن مقبوضا عليه متهما •

دثريني •• احمليني •• انقذيني ••

في يديه الحديد وهو يدخن سيجارة •

لقد انقذ الطفل •• انقذ الطفل ، ولكن سرحان كان في عربة السجن وهو يدخن •• لقد قبضوا عليه لان البلاد تمنع على الناس التعرض للكلاب •

عندما دقت الساعة العاشرة

من صباح أحد الأيام

صرخت السيدة « أم محمد » وهي تطرق على بابه .. افتح يا استاذ . رجلان يسألان عليك خرج على الفور واتجه معهما اليهما ونظر في الوجهين . حاول ان يسترجع مافات من عمره . ان ينتش في اسماء اصدقائه . في الملامح . في هذين الرجلين لم يعرف اي شيء صاح وهو يبتسم . آهلا وسهلا .

لم يدر ماسوف يحدث له . ليسا اصدقاء .. ارتدى ملابسه ونزل معهما . على مقهى صغير جلسوا قال الرجل الاول انت « محسن فريد » المدرس في مدرسة مدغشقر الثانوية تدرس تاريخ العالم الاسلامي وتاريخ الغزو الصليبي وتاريخ الوطن العربي للصف الثالث الثانوي تقوم بتغيير معالم التاريخ ......

الدهش وهو يمد يده في جيبه ليخرج علبة السجاير لم يجد بها الا ثلاث • أعطى كل منهما سيجارة واخذ واحدة •• نظر في ساعته وجدها السادسة • هز رأسه • هزت الدنيا رأسها • اهرامات الجيزة في عينه وتوت عنخ آمون يتدلى امامه رؤى فرعونية قديمة تمسح جبينه •• وبترول الوطن العربي في قلبه نافذة حلم للتقدم وصوته في الفصل الذي كان يهز جدران المدرسة بدأ يتوه في سراديب الخفاء • لم يخصص وقته الا للقراءة قال عنه الناظر انه لبق • وقالت امه انه متعاون وقالت خطيبته انه يحتاج الى العناية ـ بملابسه التي لا يهتم بها •

ـ هل تستطيع ان تشرح مادة التاريخ كما هي موجودة في الكتاب •

ـ نعم • ولكن •

ـ ليس هناك لكن • هذا امر •• اتفهم وبالمناسبة لا تضع فوق رأسك قبعة تداري بها شعرك •

« ٢ »

ترك المدرسة • لم يستطع ان يفعل ما قيل له • لم يدرك انه سوف يجوع •• أو يتشرد • كانت في رأسه ، القدرة تفعل المعجزات • أرتدى طربوشا • ووضعه على رأسه ووقف ليبيع الجرائد في ميدان الحسين اتت اليه الصبية لتشتري والنساء لتشاهد هذا المنظر الغريب •• خرج هذا الشخص الذي يعاني•

خرجت أنت تعاني الجوع • التشرد • البحث • لكن • هل هذا الحل حقيقي • هل يستطيع المرء ان يستمر هل الذين يعيشون في هذه الارض يعرفون ما أنا فيه الان • ان صاحبة المنزل طردتني قالت لا يمكن ان تعيش معنا وبكت كثيرا الى • وصوتها في أذنه • ارجوك يا استاذ •

ـ والنبي يا استاذ محسن يا أستاذ محسن فريد حاول ان تسكن بعيدا عن هنا •

نصحه مدرس اول • نصحه الموجه (المفتش) نصحه المدير • نصحه كل الزملاء • لم يسمع الكلام

ـ ان التاريخ قد كتب غلط ولابد ان اصححه •

بينما يبيع الجرائد وجد عربة تقف امامه هبط منها ثلاثة رجال • اقتربوا منه • اخذوه الى العربة •

ـ الاستاذ محسن فريد

ـ نعـــم

حملوه الى متاهات بعيدة • اخذوه في غرفة مظلمة • جلس أمامه رجل ضخم الجثة ومهذب للغاية ••• ابتسم اليه • وهو يقدم اليه كوبا من الشاي •

ـ محسن فريد • لك ملف لدينا في قائمة « القبعات » وهـا أنت ترتدي طربوشا • وتوزع الجرائد الممنوعة وتوضع في قائمة « الطرابيش » •

وقف • أنني ابيع الجرائد التي يبيعها الجميع •

– لنفرض هذا . لماذا ترتدي الطربوش .
– أنني نفذت التعليمات طردوني من المدرسة . او انني طردت نفسي . او المبدأ طردني
– أنت مسكين . سنفرج عنك حالا ..

« ٣ »

حلق – أصلع . جلس على شاطيء النيل . اشترى « كوزا » من الذرة واخذ يأكل منه . انه يمسح السيارات الان ويغسل عجل العربات بجودة فائقة . وسمى نفسه « حسن غانم » واستطاع ان يستخرج بطاقة شخصية بذلك الاسم . وأخـذ يتودد الى سائقي العربات حتى يستطيع ان يركب عربة لتخرج به الى بره البلادلعله يجد رزقا في بلد اجنبي أتت سيارة فارهة . وبها خمسة رجال اخذ يمسح الزجاج .

صاح الرجل الذي يقود العربة .

– محسن فريد .

يتجهم . يتوقف . ينظر اليه . اسمك محسن فريد وليس حسن غانم .

– نعـــم
– أركب

ركب العربة . كانت رائحة عرقه وجسده المتسخ تفوح . كان بين الحيرة والقلق . تبول على نفسه وهو يركب العربة . بكى.

ثم ضحك • لم يقرفوا منه •• اخذوه بينهم • وانطلقت العربة الى عمارة شاهقة في طرف المدينة • اغمضوا عينيه • وصعدوا به دخلوا به في الشقة • حيث وجد هنالك • خطيبته وامه والمدرس الاول • وتلاميذه • وكلهم يقفون في صمت • دخلوا به غرفة اخرى ليجد صورة له وهو يرتدي قبعة واخرى وهو يرتدي طربوشا واخرى وهو اصلع •

ــ لقد انضممت الى تنظيم الصلع متى ؟

ــ الصــــلع !

وجد أمامه صورا كثيرة للصلع • لم يعرف احدا منهم • هز رأسه بالنفي •

« ٤ »

البسوه •• حلة جديدة • وكرافته جديدة رباط عنق عصري• ونزل مع امه وخطيبته والمدرس الاول • اوصته أمه الوصايا العشر في المنزل • جلست خطيبته تحكي له عن احلامها الوردية • شرح له المدرس الاول انه يعمل معه وانه قد رقى الى درجة مدير مدرسة وان عليه ان يغير نفسه حتى يترقى الى مدرس اول • رحبت بــه المدرسة في الصباح في الطابور ودخل الفصل في الحصة الاولى صامتا • لم يتكلم • ظل التلاميذ يتحدثون وهو صامت خرج من الفصل للاستراحة في الخمس دقائق شرب الشاي والسيجارة • دخل الحصة الثانية ظل صامتا • وصمت التلاميذ معه •

– أشرح يا استاذ

لم يتكلم

– نريدك ان تشرح يا استاذ لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس .

– لـم يتكلـم

نظر الى التلاميذ وسقطت دمعة من عينه . خرج احد التلاميذ الى المدير ليشكو له جاء المدير اخذه . التف حوله المدرسون .

– اعصابه تعبانة شوية يا اساتذه كل مدرس يذهب الىفصله.

جلس في مكتب المدير الذي ظل يردد له . لابد وان تعرف ان الظروف دائما تتغير وان عليك ان تتغير نظر اليه . وقف . خرج من المدرسة يجري . الى الشارع . الى العربات . يريد ان يوقف حركة العالم .. ناداه احد زملائه . محسن فريد . محسن فريد . ظل يجري .... الى النيل حيث القى بنفسه .

« ٦ »

طاف الصيادون لمدة يومين حتى خرجت الجثة . أتت شرطة السواحل وبوليس النجدة والنيابة .. قال وكيل النيابة .

– الجثة مجهولة

– قال ضابط المباحث

ان صاحبها من فرقة الانتحار السرية . يبدو هذا علي وجهه .

وجدناه وقبض عليه ميتا في تمام الساعة العاشرة من صباح اليوم .

« ٦ »

دخل عبدالجواد افندي الى السيد مدير المدرسة وخلفه طالب اسمر حاد الملامح

ـ سيادة الناظر هذا الطالب يستوقفني دائما في حصة التأريخ ويقول ان التأريخ الموجود بكتب الوزارة خطأ صرخ الناظر .. يطرد لمدة اسبوع . اسمك يا ولد قال الطالب وهو يبتسم محسن فريد .....

لقطات من حطام الزمن الراكد

سألتني :

لم انت هكذا ؟ الم يزل الحب بيننا ؟

تلكأت قدمي نظرت في وجهها لمحت سؤال الحزن يطفو فوق جبين الجفن الوردي . لم اعرف الغناء الا معها .. احببت الرقص والهجرة والطوفان والفيضان احببت الاشجار ان تطفو فوق البحار وان اصبح صيادا عاري الجسد . في يدي قيثارة . أعزف بها اجمع الطيور والحيوانات والحشرات واظل اغني وتغني الطبيعة معي .

ـ البشر

لقد حملت لهم الكلمة الخبز اعطوني الظهر وساروا يتمتمون .

السح الدح .. أمبو ادي الواد لابوه ..

علقت في كلماتي مشنقة لكل ظالم ليثور الصغار ويحفظها الاطفال لم يحفظ الاطفال سوى ـ نار يا حبيبي نار •• فول بالزيت الحار • ـ

صرخت انا أسألك • هل تزوجت •

ـ نعم

ـ وقفت :

● اللقطة الثانية :

سقط المطر • عصر المطراني •• وصوت في داخلي يصرخ •• الله المطر • المطر • وصوت خارجي • المطر • الفقراء •• الاكواخ الاجساد وعربة تحملني تجرها الخيول والحوذي يهتف ويصيح •• ها • حا • ها • حا • وانا في داخل العربة ارى امامي • صورة جيفارا ملقى على الارض •• وأصبحت الخيانة في قفاي •

ـ هذا الرجل يؤمن بالمساواة •

وصوت ضحكة سخرية •

ـ هل انت تصلي •

ـ نعم •

وحديثي مع امام الجامع

اين رجال الدين الشرفاء يا سيدي في هذا العصر ؟

نظر خلفه • صاح ابتعد عني • ابتعد عني وجرى •

سرت ببطء • وصوت زوجتي من بعيد •• هل ستحضر اليوم •• لا • ضحكت • على كيفك لم تهتم • وبائع الجرائد يصيح مقالك يا استاذ نزل في جريدة النهاردة •• قلب الدنيـا واقعدها نظرت من حولي • لم أجد الدنيا قامت ولا قعدت •

اللقطة الثالثة •

هذا زمن الخصيان • من يركبون فوق اللحظات • يمتطون جواد الكلمات الحبلى في الخفاء ويلقون الشعر في المناسبات •

تجمد السادة كل السادة • تجمد الانذال والابطال يختلط فيه الحابل بالنابل • والسيء بالجيد والشريف بالقذر •

سألتني : لقد خنتني • وتزوجت ••
قلت : لها • انني تزوجت بحثا عن شيء • عن امان
قالت : هل ستفهم زوجتك انك شاعر عظيم وكاتب عظيم
قلت : احب الاسفار والاشعار هذا زمن الاسفار سامحيني •

الحب رحلة وأنا طفت الف رحلة حب ولكن تجهلني البلدان • اجهل مياه الخليج والمحيط والانهار • اريد ان امارس تجربة الزواج والترحال والانجاب والاسفار •

ساذج • انت •

– نعم • انا •

– انت • لم تخلق الا للحب والصعكله •

– أنـا

ـ ربما لكن • العمر يجري يجري •

ـ انت افضل من شكسبير ضحكت ضحكة طويلة • انا •• لا •• أنا صفر •• أنا لا شيء •

ـ انت ساذج تيأس بسرعة

ـ أنا لا أعرف حياة القصور واجهل تمجيد الملوك والعظماء وانا اعبر عن حياة العبيد والبسطاء فلذلك • لا يعرفني الا الله • ومن اعبر عنهم اميون لا يقرأون سخرت مني ضربتني على كتفي وهي تهزأ مني لقد تغيرت • تغيرت •

اللقطة الرابعة :

جلست زوجتي امامي صوت الصديقة خلفي • صوت المذياع يغني • غاب القمر يا ابن عمي • صوت القطارات البعيدة يناديني وصفارات السفن •

خرجت من المنزل اجري •
خرجت زوجتي خلفي تناديني آه
دعوني •

مقاطع من حوار أشجار الصنوبر

« ١ »

- لم يداعب الفجر اتفي
- وانتظرت حتى الصباح
- والصاعدون مع الفجر
- حاملين على وجوههم ابتسامة .
- هازئين بالمشانق
- مكبلين بقيود خوف الوالي
- لم يتصل بي احد في الصباح
- ومكتب الامن
- لم يتصل

ـ حاول ان تشتري لي ثوبـا ورديا اتزين به •
ـ سأحاول يا صديقتي •

« ٢ »

« بانوراما »

لان الرب لا يرغب في جوع البشر ولانك يا حلوة الحديث تنامين في سريري ممسكة يدي تقبليها وأنفي تداعبيه •• وعيني اعمر بدمعك سنين شقائي •• منذ عامين ونحن لم نلتق ولم نتصافح والغابة يكسوها الجليد •• كانت مثل طفلة عجوز •• وكنت تقفين عند باب الكوخ بجوار شجر الصنوبر تكتسحين بوجهك رياح الغرب الباردة وتقبل عيناك شمس الشرق بهجة افريقيا •• وكنا تحت شجرة الصنوبر ندغدغ رحلة العمر لقريتنا المهزومة في معركة الرغيف وسجلات البوليس السري وكنا نرتدي عنـاد المستحيل يدانا تتشابك في التحدي ونعبر جسـر الممنوع في منزل الشـيخ العجوز لنأكل البيض والجبن ونسـمع من ارغوله القديم نغمات الحلم بالمستقبل •

« ٣ »

ـ أشتريت الجرائد
ـ لم تفهم سر السياسة
ـ وسرت ثلاث ساعات
ـ أفهم
ـ أحـاول

ـ أقـرأ
ـ أحـاول
ـ استنشق الهواء النظيف
ـ أحـاول
ـ احاول •• احاول •• احاول
ـ حياتي يا سيدي كلها محاولة

« ٤ »

ستار

في الحارة الضيقة كان ابوك الترزي يصنع ثوبا لرئيس الشرطة ويداه تهتز والتفت لي وسألني عنك وقال اجعله يهرب الى خارج البلاد •• لم يعد الامان في الداخل •• واين تهرب وكيف والمدينة قد اغتسلت بقدميها المدنسة في نهر التلوث •• ورغم انـه يرش رئيس الشرطة الا ان الامر القادم •• ابحثوا عن كل من يحمل في وجهه علامة استفهام وغسل أبوك وجهه عشـرين مرة ولم يفـلح في ازالة علامة الاستفهام من على وجهه وانت يا بني هنا على الشاطىء تلقي بالحجارة في باطن البحر والبحر كم اكل الاحجار وكم غرقت فيه سفن وكم وكم •• وكل الناس تخافه •• حاول ان تفر •• على سحابة •• على فرس •• على مركب •• على مجلة •• على شجرة حاول أن تفر على دابة حاول ان تخرج خارج الحدود وغطي وجهك بعباءة جدك العجوز •• وهي دعها فلن تنساك وقد تنساك وتتزوج غيرك وتنسى حبك وتنجب طفلا مطيعا وديعا مثل الاخرين

وانت حاول ان تعمل بالتجارة ودعك من قذف الحجارة في البحر من القاء الشعر واحاديث الاصدقاء والحوار حول ما هو كائن وما ينبغي ان يكون فالكون هو الكون . لكن عقلك لا يؤمن بهذا .

« ٥ »

- هل نقيس بيض البطة
- ما نهاية احلامك البيضاء الحمراء .
- ما نهاية الحياة والصراع والجدل .
- البطة فقست سبع بطات
- الحلم الاحمر يصنع خبز السنوات العجاف والحلم الابيض يصنع مليون سندباد في كل البلاد تحت راية نهار .
- نهاية الحياة الجنة والنار .. ونهاية الصراع التطور ونهاية الجدل حتمية التطور .
- سفسطائي أنت
- مثقف فاسد
- صه
- فلتقل اسكت بدلا من صه يا غبي
- الاشياء تصنع الاشياء .

« ٦ »

« الفعل »

في السوق سار الابن التائه يبحث عن امه .. يبكي .. اخذ بائع الخضار جانبه يتفحص وجه النسوة اللاتي يسرن فوق جثث الرجال المغفلين .

وينادي الرجل من ضاع له ابن •• والعربات تزدحم والسوق تملأ والطفل يبكي وشمس الظهيرة تلفح بائع الخضار والنساء يسأومنه في الاسعار والطفل يبكي والمرأة التي وقفت امامه تصرخ حافظة نقودي سرقت والطفل ينادي امي وانت هنا في داخل السوق بلا هوية ما اسمك من أي مدينة ولم جئت وجلدك المتسخ وشعرك الملبد بالاتربة الرمادية •• والحرارة الكافرة تتحدى ايمانك بالصمود وصوت شيخ عجوز ينادي بقرة للبيع •• تسقط البقرة من يد العجوز يصرخ سكين يخرج السوق كله بالسكاكين •• يذبحون البقرة والنساء تهرع للحم لتشتريه وانت من يشتريك ومن يبيعك ليتهم يطعنوك بسكينهم •• ليتهم يقتلوك ليتهم يعرفونك والطفل يبحث عن أمه •• لا أحد يعرف احد •

« ٧ »

– هل تعرف دستوفيسكي
– الاسعار مرتفعة بشكل مفزع •
– هل تدري ما سر الموسيقى الاوربية •
– جوربي ممزق والمدينة بطنها خاوية •
– يا جاهل الحوار معك شيء مؤسف •
– هل تعرف كم ايجار الشقة الان •

« ٨ »

عن مدرس التاريخ •• عن المفتش عن المفتش الاول •• عن رئيس القسم •• عن مدير التربية والتعليم •• عن كل النظار •• عن وكيــل اول النظار •• عن الوزير •• عن رئيس الوزراء •• قال

الخديوي عباس ذات يوم الامة الجاهلــة اسلس قيادة من الامــة المتعلمة •

والقرية التي يؤمها شيخ الكتاب الضرير ويعلم •• زرع •• حصد •• اكل •• لم يعلمنا من الذي زرع ومن الذي حصد ومن الذي اكل •• وتنامي يا عروسة المولد في حضني •

« ياسمين » أبنة اختي وابني الذي عاد من المولد حزين •

لان المركب غرقت عند سيدي ابراهيم الدسوقي •• وانا الذي لم افهم الى الان من الذي يزرع ومن الذي يحصد ومن الذي يأكل والقرية كلها لا تفهم معنى هذه الكلمات حتى الان ••

من امي •• عن جارتنا •• عن زوجة اخي •• عن اختي •• عن جيراننا •• عن كل النسوة • لم يعد في السوق البصل ولم يعد هناك الثوم ولم يعد هناك غير الفول المدمس • تسلقت فوق سطح المنزل وقذفت الكلب بحجر •

لم ينس الكلب هذا •• كان دائما يتربص بنا •• حتى وجدني وحدي في الحقل فأخذ ينبح واخذت اقذفه بالحجارة وجدت الكلب له الف رأس •• كل الرؤوس تمتد من حولي •• كانت تنبح •• سقطت في مصرف الماء وانا اجري اتسخت ملابسي وضربني يومها عمي الحاج عطية علقة ساخنة •• اه يا ذكريات الايام العابرة كيف اعيش في منفى وكنت يا وطني جرحي الفــائر •• وكنت يــا ساعة تحملين لي ذكرى •• أفقت على يد رجل •• الى اين •• ممنوع ان تمر من هذا الطريق سرت في الطريق الاخر وصوت الكلب من بعيد ينبــح •

نظرت الى الساعة ثم ابتسمت وهي تقول لي .

انت رجل محظوظ بعد نصف ساعة سيحضر المدير ويقابلك .

هززت رأسي . كعادتي . اتصنع الغباء والموافقة على اي شيء خارج ارادتي . سبقتني بابتسامة . قالت وهي تقلب بعض الاوراق على المكتب .

هل تعرف السيد المدير .

« لا اعرف . اعرف انه يعرفني . لكن لا اعرف اذا كان سيستمع الي ام لا . قالت الخالة كريمة ان الوطاويط التي تدخل المنزل عند حضورك تعني الخير ، من ابتسامتها اعرف ان الصبر على شفتيها ، المح نظرة الذكاء فيها . الخالة كريمة تربط بين الوطاويط والخير وقدومي .

والمدير يلعن اليوم الذي عرفت فيه الكتابة ويلعن دخولي هذه المؤسسة الثقافية لانني اكتب وانشر فهذا يعني ان مقعده يمكن ان يتغير في جرة قلم • لكن يثق ان ظهره جامد ومتين » •

قالت الموظفة وهي تقف لقد حضر السيد المدير • هذا صوت عربته اخذت تسوى الفستان الذي ترتديه • « قلبي عصفور مهاجر على اشجار القلق • كم هاجر في مدن البراءة • قبلت زوجتي في الطريق احمر وجهها خجلا • خجل من نوع نادر • قلقي من نوع نادر • اجمع قلقي وخجل زوجتي في عينى واسكن لحظة المخاطرة تخبرني كريمة ان الله معي • آه قلبي محراب وصوت الامل يصـلي في داخله • اه يا الهي اسكنى لحظة اشعر بالامن • خلق الانسان عجولا » •

خرجت الموظفة من مكتب المدير وهي تشير الى تفضل ادخل• يا استاذ « ص »

« الخوف لا يولد رجالا • والامم الخائفة لا تصنع المعجزات• ولا تصنع التقدم وعلى ان اكون حرا اولا • عندما دخلت طرحت الخوف على عتبة الباب وذبحته ، استجمعت قوى الشجاعة » •
قلت :

صباح الخير يا سعادة البيك •

عاصفة الخماسين تغمر المدن • زلازل اليابان انتقلت الى حجرة المكتب • سقطت الاشجار اشجار افكاري الثورية • قاومت

عاصفة العبودية للروتين • لكن هيهـات • كم سقط من الرجـال شهداء الروتين • كم مات من الجوع شهداء الخوف • كم انت ايتها الحرية رائعة ككلمة ثقيلة •• جريمة كفعل •

— انت الموظف الوحيد الذي سب المؤسسة •

— انا أبغي تطهير المؤسسة من أشياء قذرة والحوار شـيء هام لنصل الى الحقيقة

— اي حقيقة يـا استاذ « ص » انت لا تفهم في الحياة شيئا ولكي تفهم الامور جيدا يجب ان تكون اعمى وأخرس ولا تفقـه شيئا اتسمع خصم شهرين من مرتبك • « قالت الخالة كريمه • انت صريح جدا عليك ان تغير من نفسك • على طريق النيل سرت وأمام كوبري قصر النيل وقفت ونظرت للاسدين « ايها الاسدان انظرا الي جيدا • لم اجد لكل منهما أي شارب• اسدان بلا شوارب صرخت ايها المجتمع من منا يغير الاخر •• يا شعبي •

من منكم يعرفني ••

قال علي سالم • يجب ان نغير كتاباتك واكتب مسرحيـات كوميدية للقطاع الخاص كي نعيش لابد ان نعيش •

دارت الارض دورة ، تنفست فوق صدري مواكب الحمام العائد الى الاشجار في الغروب خرجت من صدري اشجار الياسمين والفل واوراق البردى واغنيات الفلاحين في جمع محصول القطن جلست على الرصيف بكيت •• من يبكني الان غير الصدق هـل

تسكت على ما يحدث •• هل تتكلم •• لكن •• لكن •• من اي جنس انت •

خرجت ثلاث دجاجات ••

عمتي سعده تحكي ••

الدجاجة الاولى بيضاء والثانية صفراء والثالثة خضراء ••

انا اجلس امامها في الدار ••

قال الثعلب للدجاجة البيضاء لا داعي للدجاجة الصفراء ما رأيك يكفينا أنا وانت والدجاجة الخضراء ان نلعب في الحقول ••

نأكل ونقف على الرصيف واتجهت الى القطار لكي اسافر الى البلد •

قالت العمة سعده ••

واتفق الثعلب مع الدجاجة الخضراء على ذلك واكل الدجاجة الصفراء وبقي الثعلب والدجاجتين الخضراء والبيضاء في الحقول •

ركبت القطار مزدحما كان ، كأنه يوم الحشر العظيم •• لا يمكن ان استمر في العمل • لابد ان اتكلم ان اقول عن الخطأ •• الله هو الحق •• هكذا سمعتها من شيخ الكتاب الشيخ محمد عبدالله •

قالت العمه سعده ••

وفي ذات مساء قال الثعلب للدجاجة الخضراء لا داعي للدجاجة البيضاء انها تثير نفسي ونفسك وتأكل كثيرا فوافقت الدجاجة

الخضراء كي تخرج في الحقول بمفردها وتأكل القمح كما تشاء واكل الثعلب الدجاجة البيضاء • وبعد ذلك أكل الدجاجة الخضراء لانها لم تستطيع ان تدافع عن نفسها •

وقف القطار في المحطة •• هبطت منه الى العربة سيرا على قدمي ••

علني اجد الحل عند عمتي سعده علني اجـد الحل في هذه الحقول •• علني اغتسل من زحام المدينة بهدوء القرية •• لكني اكتب دائما أتذكر قصة الدجاجات الثلاث التي كانت تحكيها عمتي وكيف ان الثعلب أكلها واحده واحده لان كلا منها سمعت الثعلب وصدقته •• وهل انا دجاجة وهذا المجتمع ثعلب وهل انا ثعلب وهذا المجتمع دجاج •• يا امة الدجاج هل أنا ثعلبا •• ام يا امة الثعالب هل انا دجاجتك ••

حمل الحقيبة طفل صغير قال ••

ـ انت يا استاذ صحفي في الجريدة ؟

ـ نعم ••

ـ ما رأيك في حفلة عبدالحليم حافظ •• التي سلم منهـــا الناس ؟

ـ لا بأس ••

ـ انت مع عبدالحليم ام ضده ؟

ـ انا مع الناس يا بني ••

لم يفهم .. لم افهمه .. لم نفهم كلانا الاخر .. على أية حال سرنا انا وهو ها قد وصلنا الى الدار .. اتت احدى الفلاحات تجري اليّ ..

ـ اهلا وسهلا يا أستاذ ـ ص ـ دا عمتك سافرت لكـــم البندر ..

عمتي تجلس على الارض .. امـــي تجلس بجـــــوارها .. زوجتي تجلس وهي تمسك ورقة تصنعها كمروحة .. خالتي كريمة تدغدغ احاديث العمر الضائع .. اه يا خالتي كريمة لا تحزني ما قيمة عمر انسان يضيع بجوار عمر أمه يضيع دون ان تدري .. صنعت من حروفي سفنا ابحرت في ابجدية الانسان كي أصنع كل الضوء ورفعت رايات المقاومة لحظة طعنة قلب امتي بخنجر المعاناة من الفقر من استعمار خسيس وعندما رفعت امتي رايات النصــر علقوا صورا لكل من أختبأوا في المخابيء لم أجد صورتي حتى ولو على باب حارة ضيقة .

صاح نابليون .. ان هذا الشعب غريب ..
لم أفهم .. لم أفهم ..
قال اخي عادل : عليك بالهجرة ..
قال اخي رمضان : الله معك ..
قال اخي احمد : ستنتصر ان شاء الله .

في قاع الاخوة جلسنا تحدثنا في المساء .. اخذت زوجتي وسرنا تتنزه .. وعدنا ..

صلت أمي ركعتين لله . تنفست وهي تستريح .. قرأت عمتي سعده في عيني نظرة حزن .

ضحكت الخالة كريمة وهي تناولني كوب الشاي ..

ـ أكتب مقالة .. أحسن علشان تفوق ..

رغم انهم خصموا مني شهرين .. الا انني بعد الشهرين وجدت قلمي اكثر شراسة حاولت أن اوقفه ..

لكن الصمت على الاهمال خيانة وانا لا اقبل ان اخون بلادي .

صاح المدير في وجهي ..

لابد ان تسافر في بعثة الى فرنسا كي تتغير أفكارك لابد .. هززت رأسي ..

ـ ان شاء الله .. وخرجت وانا .. اكثر تصميما أن لا اخون بلادي .

الفهرست

تصميم الغلاف : مني أبو الفتوح
التصميم الداخلي : سلسبيل ناجي
الخطوط : سعدي الحمداني

مركـــز الدلتـا للطباعـة
٢٤ شارع الدلتا ــ اسبورتنج
تليفون ٥٩٥١٩٢٣